مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (١)
الإصدار الواحد والثلاثون
(١-١٢) ٢٠٢٦

استعارات الجسد بين المشترك الكوني والخصوصية الثقافية: استعارة الرأس نموذجا

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

عادل غرار
جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس.
نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ يناير ٢٠٢٦م

الملخص

حظيت الاستعارة قديما وحديث باهتمام بالغ بهدف محاولة تفسير كيفية تشكلها في اللغات، وكذا تحديد الآليات المتحكمة في ذلك. وارتباطا بما هو حديث؛ ظهرت – في ظل الطرح اللساني – جملة من الفرضيات التي حاولت تفسير الكيفية التي من خلالها تبرز تلك التجليات الاستعارية اللغوية إلى الوجود، ومن جملة هذه الفرضيات، نجد فرضية التعيين مع " جيفري غروبر" (١٩٦٥)، وكذا فرضية الدور النمطي مع "إليانور روش" (١٩٧٨)، بالإضافة إلى فرضية حذف السمة لـــــ"محمد غاليم"(١٩٨٧) التي استلهمها من التصور الذي قدمه قبله "فندريش" (١٩٧٢)، وغيرها من الفرضيات التي تبلورت في ظل التوجه الدلالي التوليدي، وما تلاها من المقاربات المنبثقة عن اللسانيات المعرفية.

ويبقى الطرح التجريبي الذي تبناه كل من "جورج ليكوف" و"مارك دجونسون" (١٩٨٠) حول الاستعارة التصورية، وما تفرع عنه من تعديلات على هذه النظرية مع كل من "مارك دجونسون" (١٩٨٧) و جورج ليكوف(١٩٨٧)، وكذا الانتقادات التي تمثلت في نظرية المزج التصوري مع كوفيتش (٢٠٠٥)؛ من بين أهم المقاربات الذهنية التي أغنت البحث اللساني حول مفهوم الاستعارة في علاقة هذا المفهوم بتجربة الإنسان الجسدية بالمحيط والفضاء من حوله.

وارتباطا بمفهوم الاستعارة والجَسَدْنَة التي نظَّر لها رواد الطرح التجريبي للاستعارة، خاصة "ليكوف" و"مارك دجونسون" (١٩٩٩)؛ فإني سأسلط الضوء على التعابير الاستعارية التي تستثمر أعضاء الجسد عموما، والرأس على وجه الخصوص، قاصدا بذلك الكشف عن مظاهر الكليات في تلك التعابير، مع الوقوف على تجليات الوسائط والاختلاف في تلك التجليات الاستعارية اللغوية.

ويكون الإشكال الذي تروم الورقة الاشتغال عليه هو:كيف يمكننا تفسير وحدة المنطلقات الذهنية البشرية المنتجة

للاستعارات، وبالمقابل تعدد التعابير اللغوية التي توظف فيها مجموعة لغوية ما أعضاء جسد الإنسان بشكل مختلف تماما عن غيرها من الأنظمة اللغوية التي قد تشاركها الفصيلة اللغوية نفسها.

وبناء على ذلك؛ فإننا سنطرق الإشكالية السالفة الذكر بالاعتماد على منهج استنباطي، ننطلق فيه من العام (الإطار النظري) إلى الخاص (الاشتغال على المعطيات في بعض اللغات الطبيعية)، في محاولة للإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما مظاهر الكليات في الاستعارات القائمة على أعضاء الجسد؟

٢- وكيف يمكننا تفسير صور الاختلاف في هذه الاستعارات من الناحية التصورية؟

٣- وما مظاهر الكلية والخصوصية في الاستعارات المتصلة بالرأس في بعض اللغات الطبيعية؟

الكلمات المفتاحية: الاستعارات التصورية، الجسدنة، اللسانيات المعرفية، الكليات، الخصوصية الثقافية.

*** المقدمة**

ننطلق في هذا البحث من خلال التطرق لمسألة الضبط المعرفي لمصطلح "اللسانيات المعرفية" ومفهوم "الجسدنة" بوصفهما ركيزتيْن أساسيتين في هذا المقال؛ وارتباط بالأول منهما، فتبعا لترجمة مصطلح (cognitive) التي ارتضاها كل باحث في مجال اللسانيات، سيتم الحديثة عن "اللسانيات المعرفية"، أو "اللسانية العرفنية" أو "اللسانيات العرفانية" بوصفها حقلا جديدا جامعا لعدد من النظريات التي اشتغلت على اللغات في علاقتها بالذهن، ولتكون الخاصية المميزة لهذا التوجه في اللسانيات هو غناه وانفتاحه على جل العلوم الحديثة؛[١] حيث نستطيع تلمس هذا الانفتاح على العلوم والنظريات الحديثة من خلال روافد هذه اللسانيات المختلفة، وذلك من قبيل "نظرية القيد المعرفي" لـــ"راي دجاكندوف" (Ray Jackendoff)، و"نظرية الفضاءات الذهنية" لـــ"جيل فوكونييه" (Fauconnier Gilles)، ونظرية النمط النموذجي أو الطراز لـــ"إليانور روش" (Eleanor Rosch)، و"نظرية الاستعارة التصورية" مع كل من "جورج ليكوف" (Gearge Lakoff) و"مارك جونسون" (Mark Johnson)، بالإضافة إلى "نظرية النحو المعرفي" مع "رولاند لانكاكر" (Ronald Langackeer)، و"نظرية الجسدنة" التي طورها كل من "ليكوف" و"جونسون"، إضافة إلى "نظرية المزج التصوري" مع كل من "جيل فوكونييه" (Gilles Fauconnier) و"مارك تورنر" (Mark Turner).[٢]

وارتباطا بالمفهوم الثاني أي:"الجسدنة"؛ فقد تشكل هذا المفهوم في بيئة علمية اتسم بالتعدد، تتجاذبها المسوغات الفلسفية وما يتصل بالعلوم المعرفية وامتداداتها اللسانية، لتتوسع العناية بهذا المفهوم في سائر الميادين والمجالات كالعلوم العصبية

---

١ - لامية قداش وصلاح الدين يحيى، (٢٠٢١)، اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية، ص ٢٥٠.

٢ - أشار الأستاذ "عبد المجيد جحفة" لبعض هذه النظريات بوصفها روافدا لنظرية الاستعارة التصورية، أي: أنها ساهمت في ظهورها وتطويرها، عند ترجمته لكتاب كل من "جورج ليكوف" و"مارك جونسون" الأول:
جون لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمةعبد المجيد جحفة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، سلسلة المعرفة اللسانية، دار توبقال للنشر ـ الرباط. ص ٥.

ذات البعد المعرفي. لذا يَعُدُّ بعض الدارسين الجسْدَنة من جملة الآليات العصبية، في حين أن العرفانية هو ما يُمَكِّننا من الإدراك ومن التنقل في ما يحيط بنا، وهي الآليات نفسها التي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق تفكيرنا؛[٣] حيث توجد ترابطات بين كل أنظمتنا: النظام البصري والنظام الحركي والنظام العصبي، ولكي نفهم الذهن البشري، يجب علينا فهم الترابطات التي توجد بين كل تلك الأنظمة بشكل دقيق. وبناء على ذلك؛ نستطيع إجمال مفهوم الجسْدَنة في تشكل المفاهيم في النظام التصوري وفي اللغة بالتبعية على أساس بعض الخصائص الجسدية، واشتغال الجسد في الحياة اليومية العادية.[٤]

وللجسدنة السالفة الذكر أبعاد متعددة، يتصل كل بعد بمجال بحث قائم بذاته، بل يُعْتبر ركيزة من ركائز هذا المفهوم في ذلك المجال على غرار البعد الفلسفي المتصل بالتصور الديكارتي للذهن، والبعد الثقافي الاجتماعي وعلاقته بمظاهر السلوك الإنساني والمحيط الذي يتموضع فيه الجسد، والبعد الظواهري حيث تتضمن الجسدنة إدراك الجسد في دوره وموقعه في تحديد الهوية الثقافية من خلال عمليات فكرية واعية قصدية أساسها الاستبطان. وفي مقابل كل ذلك تقوم الجسدنة على تمثل للجسد ينبني على أساس تكرار اعتيادي معرفي، مفادها أن الذهن تُوجِّهُه عمليات آلية غير واعية في غاية السرعة، تجعل الوعي بها غير متوفر، وغيرها من الأبعاد التي تؤكد على وجود ذلك الارتباط الوثيق بين العقل والجسد لإدراك المحيط وفهمه بشكل شمولي ودقيق.

وتتمظهر الجسدنة في حياتنا من خلال العديد من النماذج التي تتراوح بين البسيط، لتترقى إلى أعلى درجات التعقيد، فالوظائف العليا المعرفية تصورا وتخيلا وفهما واستحضارا. حيث تتلخص الجسدنة هنا في عودة الذهن إلى ما يتصل بالفكر والوعي؛ لتعي الذات جسدها، كما هو الشأن في تفاعل الإنسان عندما تمتنع الرؤية البصرية في الظلام الحالك، أو انقطاع التيار الكهربائي، فإنه يعتمد بالكلية على ما ترسخ عنده سلفا حول محيطه في الغرفة والسلالم ومواقع الأشياء المحيطة به.

كما نتلمس هذه الجسدنة عندما يحاول بعضنا إرشاد الآخرين لوجهتهم، عاملين على استثمار الحركات في الفضاء للتوجيه عبر الجسد، وتقسيم ذلك المكان الذي يتموقع فيه المتكلم إلى يمين ويسار، وفوق وتحت، وأمام وخلف، وقبل وبعد، مع ما في ذلك من المزج بين مفهومي الزمان والمكان، بالإضافة إلى الإشكالات والاستدعاءات التي يطرحها هذا الإرشاد من استحضار للأشكال الهندسة والاتجاهات خارجها وداخلها. ويزداد الأمر تعقيدا إذا تعلق الأمر بقراءة كتاب يعمل صاحبه على تحديد مواقع المدن والدول والأماكن التي لم نزرها أصلا، على غرار كتب الرحلات ومولفات الجغرافيين والفلكيين، وغيرهم ممن يحاولون نقل تفاصيل لم يَعشها المتلقي.

ومن مظاهر الجسدنة في سلوكنا ما تكشف عنه اللغات؛ حيث تجري في بعض اللغات أسماء أعضاء الجسد

---

٣ - عطية سليمان أحمد، (٢٠١٤)، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية ، الناشر الأكاديمية الحديثة للكتاب والجامعي، القاهرة ، ص ٦٧.

٤ - الأزهر الزناد، (٢٠١٠)، نظريات لسانية عرفنية ، الدار العربية للنشر، الطبعة الأولى لمنشورات الاختلاف.، ص ١٨٦.

بكونها أدوات نحوية تدل على مواقع المكان، وفي بعض لغات المايا الأصلية في المكسيك الغربية يكون التعبير الحرفي، كما توضحه المعطيات اللغوية أسفله: –

أ– الحجر موجود عند بطن الطاولة (الحجر تحت الطاولة)

ب– في رأس الجبل (الشيء فوق الجبل)

ج– هو على وجه الفراش (الشخص مُستلق على الفراش)

بل يتعدى الأمر الاستعمال اللغوي إلى ما قبل ذلك وهو الاكتساب اللغوي، ففي إنجلترا والدانمارك والعربية وأغلب الثقافات يكتسب الأطفال أسماء أعضاء الجسد، ثم يُجرُونها فيما بعد على العلاقات الفضائية لاحقا، في حين أن طفل إحدى لغات المايا يكتسبها على أنها أدوات تعبر عن علاقات فضائية، ثم يجريها فيما بعد على أعضاء الجسد، كما توضحه الأمثلة أعلاه، الشيء الذي يؤكد ذلك الارتباط القوي بين الاستعارات التصورية ومفهوم الجسدنة، على ما سيتم تفصيله تالياً.

١– الجسدنة والاستعارات التصورية لأعضاء الإنسان

لقد تبلورت فكرة الجسدنة أو ما سُمي بتجسد الذهن بشكل مُواز لظهور فكرة الاستعارة المفهومية أو الاستعارة التصورية، على أساس أن الاستعارة أصبحت عند اللسانيين المعرفيين تمثيلا لمجال بناء على مجال آخر، وبالمقابل، فالجسدنة تمثيل للمفاهيم المجردة على أساس الجسد على غرار الغضب والفرح والخوف والحزن والقلق، وغيرها من المشاعر التي تعتري الإنسان في تقلبات الحياة.

فكان من فروع هذا المجال: البحث في الاستعارات الجسدية، وهي تلك الاستعارات القائمة على تمثل أجزاء الجسد على أساس مفاهيم أخرى، أو العكس بتمثل الأشياء على أساس أعضاء الجسد، إلا أن الجسدنة تتجاوز الاستعارة التصورية، لكونها دراسة واسعة للذهن، والذي تتجلى مظاهر تجسْدُنه في سائر الأنشطة والتصورات غير الاستعارية من قبيل الإسقاطات ذات الطابع التصوري والقياس. ومع ذلك تظل الاستعارات التصورية من خير موارد فكرة الجسدنة؛ حيث يمثل الجسد في الوقت نفسه مجالا هدفا في تمثل الأحاسيس، ومجالا مصدرا في تمثل العديد من المفاهيم.

وهكذا ستنقسم الاستعارة في ضوء ذلك إلى قسمين في علاقتها مع الجسد: –

الجسد بوصفه مجالا مصدرا: حيث تتمثل فيه المجالات أو المفاهيم المجردة على أساس الجسد أو أعضائه بكونها مجالا مصدرا، كما هو الشأن في عبارات من قبيل: المؤمنون كالجسد الواحد / يحشر أنفه فيما لا يعنيه / باريس قلب فرنسا النابض / ساق الزهرة ...

الجسد بوصفه مجالا هدفا: في هذا القسم يتمثل الجسد أو أعضاؤه على أساس مجال آخر، فيصبح الجسد في هذه الحالة هدفا، وهو ما تكشف عبارات من قبيل: للجدران آذان تسمع / القلب مضخة والأوردة سواقٍ / الجسد قلعة حَصَانتها الوقاية.[٥]

وبهذه الصورة؛ ستشكل الجسدنة أحد الموارد والروافد المعرفية للاستعارات التصورية من وجهة نظر لسانية

[٥] - عطية سليمان أحمد، (٢٠١٤)، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، ص ٦٧ - ٦٨.

معرفية؛ بل لن تقف عند هذا الحد؛ حيث ستكون حاضرة حتى في المراحلة المتقدمة والمتطورة لنظرية الاستعارة التصورية مع ما سمي بالمزج المفهومي.

إن حضور الممارسات الاستعارية والاهتمام بتجلياتها القائمة على جسد الإنسان وأعضائه؛ لا يحضر في مصنفات القدماء،[٦] وإبداعات المعاصرين فقط،[٧] بل نجدها تؤطر جزء لا يستهان به من خطاباتنا اليومية في العديد من مجالات الحياة المختلفة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فهي تحضر في استعارات الطعام؛ حيث تتم بَنينةُ مجال الطعام انطلاقا من الجسد ومكوناته، أو ما يتفرع عنه وينتج منه، وهو ما حاول كل من "عاصم شحادة علي" و"صوفي بن مان" أن يلخصاه لنا عبر الربط بين الأوصاف التي نقدمها للطعام، والجزء الذي نستهدفه من خلال الوصف المقدم، وعلاقة ذلك بالحواس وأعضاء الجسد في مجال الطعام، كما توضحه الخطاطة أسفله:[٨]

٢) خطاطة تمثل بعض تجليات استعارات الطعام القائمة على الجَسَدِيَّة

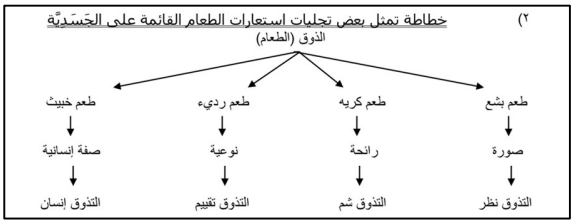

وإذا كان مجال الطعام والشرب من بين المجالات التي استفادت كثيرا مما يوفره جسد الإنسان وأعضاؤه من إمكانات التوسع الاستعاري على ما تمَّ تلخيصه في الخطاطة أعلاه، فمن المهم التأكيد على حضور الاستعارات القائم على الجسد في كل اللغات والثقافات، وأن هذا الحضور لا يتخذ صورة واحدة، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال المعطيات اللغوية التالية: –

أ – yuù wā híyaà čìì – mesa (لغة المايا في المكسيك الغربية)/ الحجر موجود عند بطن الطاولة (الترجمة العربية)؛ [٩]

ب – 試試看 / sz‘ sz‘ k’ön‘ / try it and see؛[10]

٦ - نجد في هذا الصدد العديد من المؤلفات عند المتقدمين، لكن من أبرزها: ، "كتاب استعارة أعضاء الإنسان"، لأبي الحسن أحمد بن فارس.

٧ - من بين الكتابات المعاصرة التي اتخذت من الجسد محورا للتعبير والإبداع، نجد: "ذاكرة جسد"، لأحلام مستغانمي.

٨ - عاصم شحادة علي وصوفي بن مان، (٢٠١١)، أخطاء ترجمة مفهوم الاستعارة في آيات القرآن الكريم إلى اللغة المالوية عرض وتحليل، مجلة الإسلام في آسية، العدد الخاص الثاني، يونيو ٢٠١١، ص ٩١.

9 - G.Lakoff, (1987), Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the mind, the university of Chicago Press, p 313.

10 -J. EDKINS ,(1868) , A GRAMMAR OF COLLIQUIAL CHINESE , second edition, SHANGHAI: PRES BY TERIAN MISSION PRESS.p ١٤٣.

ج- Donner le sein (التعبير من العامية الفرنسية) / Dar el pecho(الترجمة الإسبانية) ؛[11]

د- ikhanda elinamanzi (لغة الزولو) / Testa piena d'acqua (الترجمة الإيطالية)؛[12] ه- صدر الليل (dada malam) (المالوية)؛

و- بطن المدينة (perutkota) (المالوية)؛

ففي (٣ أ) يعني التعبير في بعض لغات المايا الأصلية في المكسيك الغربية: "الحجر تحت الطاولة"، وهو ما ترجمه "جورج ليكوف" إلى الإنجليزية بـــ (The stone is under the table، لكن الترجمة الحرفية لهذا التعبير في لغته الأصلية هي: "الحجر موجود عند بطن الطاولة"؛ حيث يستخدم أصحاب هذه اللغة في المكسيك الغربية عضوا من أعضاء الجسد (البطن) للتعبير عن موضع الأشياء على الطاولة. وأما في (٣ ب)؛ فإن التعبير الصيني القديم يستعمل ما يصدر عن الجسد (النظر)، للتعبير عن اتخاذ القرار، وهو قريب من التعبير الدارج في اللهجة العامية المغربية: "جَرَّبْ أُو شُوفْ". ونلاحظ في(٣ ج) أنّ اللغتين الفرنسية والإسبانية تستعملان "الثدي" للتعبير عن الرضاع، لأن الأم تعطي الحليب للرضيع، وهو أمر شائع في كل الثقافات بالنسبة للتعبير عن هذه العملية بين الأم ورضيعها؛ حيث يتم التعبير عن الجزء (الحليب) بذكر الكل (الثدي)، وهو من منظور لساني معرفي يندرج ضمن خطاطة الاحتواء: الثدي مكان يحتوي على الحليب.

وأما في (٣ د)؛ فإنّ الناطقين بلغة الزولو يصفون الشخص بقلة الفطنة والغباء؛ وذلك عن طريق تعبير حرفي هو: "رأس مملوء بالماء"،وهو ما ترجمته " روزانا تراماتولي" (Rosanna Tramutoli) إلى الإيطالية بـــــ:" Testa piena d'acqua"، فهو رأس يفتقد لوضوح الأفكار، مع غياب شكل محدد في كل شيء، لافتقاد الماء للطعم والرائحة واللون.

وأما التعبيرين في (٣ ه) و(٣ و)؛ فتميل الاستعارة في المالوية إلى تشخيص الأشياء غير الإنسانية بصفات إنسانية،[13] وذلك من خلال استحضار بعض أعضاء الجسد على غرار "الصدر" بالنسبة "لليل"، أي: بدايته، و"البطن" بالنسبة للمدينة، أي: وسطها ومركزها، فيكون التعبير الأول من باب الاستعارات التشخيصية عند كل من "جورج ليكوف" و"مارك جونسون"، في حين يكون التعبير الثاني من جملة الاستعارات الاتجاهية، والتي تمّ خلالها استغلال عضو من أعضاء الجسد لتحديد الموضع داخل فضاء المدينة، مع ملاحظة أن كلا التعبيرين يمزج بين التشخيص واستثمار معطيات الفضاء والاتجاهات.

11 - Rodrigo López Carrillo,(1992), Choix d'expressions françaises utilisant une partie du corps humain : le tronc et leur traduction à l'espagnol, ANALES DE FILOLOGÍA FRANCESA , N° 4, 1992, P 77.

12 - Rosanna Tramutoli,(2020), Terminologia del estensioni metaforiche : Swahili e Zulu a confronto, Kervan – International Journal of Afro – Asiatic Studies, N° 24, 2020, P 52.

١٣ - عاصم شحادة علي وصوفي بن مان، (٢٠١١)، أخطاء ترجمة مفهوم الاستعارة في آيات القرآن الكريم إلى اللغة المالوية عرض وتحليل، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا - مجلة الإسلام في آسية، العدد الخاص الثاني، يونيو ٢٠١١، ص ٩٠.

وإذا ما عملنا على إجراء نوع من الدراسة المقارنة للتعابير الاستعارية الواردة في (٣) في اللغات؛ فإن ذلك سيفضي بشكل مباشر إلى الخروج باستنتاج وحيد وهو: كونية توظيف الجسد ومكوناته في التخاطب اليومي لكل اللغات قديما وحديثا، وفي الوقت نفسه ستتضح لنا شدة الاختلافات في توظيف الجسد وأعضائه في تعابيرنا الاستعارية؛ حيث سنحاول الوقوف على جزء من هذه الاختلافات بالتركيز على استعارات الرأس من وجهة نظر لسانية تصورية.

٢ – الجسدنة واستعارات الرأس

إذا ما حصرنا تتبعنا لحضور الاستعارات القائمة على الجسدية في عضو واحد وهو الرأس، فسنجد ما يؤكد على كونية حضور هذا العضو من الجسد في تعابيرنا اللغوية، وكذا ما يؤشر على بروز نوع من الوسائط، خاصة الوسيط الثقافي بين اللغات الطبيعية، وهو ما تؤكده لنا المعطيات أسفله: –

أ– قال تعالى:"واشتعل الرأس شيبا"؛[١٤]

ب– وفي الحديث الشريف، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" رأس الأمر الإسلام"؛[١٥]

ج– قال الشاعر: بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بن بكرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ والحُزُونَا؛[١٦]

د– تقول أحلام مستغانمي في رواية "ذاكرة جسد": "فقط لأقلب حياتي رأسا على عقب"؛[١٧]

ه– Se casser la tête (التعبير من العامية الفرنسية) / Romperse la cabeza (الترجمة الإسبانية)؛[18]

و– Kichwa Kigumu (اللهجة السواحلية) / Testa dura (الترجمة الإيطالية)؛[١٩]

ز– 打磕瞌 / táng k'eh-ts'óng / nod the head when sleeping؛ [٢٠]

ح– híyaà– δ e šini – yúku (في رأس الجبل)؛[٢١]

بداية؛ نجد في كلام العرب أنّ كلمة "الرأس" تأتي للدلالة على الجماعة الضخمة، فيقال: ما بنو فلان إلا رأس،[٢٢]

---

١٤ - سورة مريم الآية ٤.

١٥ - أبو عيسى الترمذي، (٢٠٠ – ٢٧٩ هـ)، جامع الترمذي، باب الإيمان: حديث رقم: ٢٦١٦، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ص ٥٩٥.

١٦ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، كتاب استعارة أعضاء الإنسان، ص ٨٥.

١٧ - أحلام مستغانمي، (٢٠٠٠)، ذاكرة جسد، الطبعة الخامسة لدار الأدب بيروت، ص ١٦.

18 - Rodrigo López Carrillo,(1992), Choix d'expressions françaises utilisant une partie du corps humain, P 74.

19 - Rosanna Tramutoli,(2020), Terminologia del estensioni metaforiche : Swahili e Zulu a confronto, P 52.

20 -J. EDKINS ,(1868) , A GRAMMAR OF COLLIQUIAL CHINESE ,.p 27.

21 - George Lakoff 1987 Women, fire and dangerous things, p 313.

٢٢ - أبو الحسن بن فارس ، كتاب استعارة أعضاء الإنسان، ص ٨٥.

وهو ما يفسر حضورها في كل من الآية الكريمة والحديث الشريف للتعبير عما ظهر وعظم وبرز لوضوحه؛ حيث نجد في (٤ أ) أنّ القرآن الكريم قد استحضر عضوا من أعضاء جسد الإنسان وأسقط عليه خصائص مجال النار للتعبير عن التقدم في السن، وهو ما يحيل على مبدإ الانتقائية في هذا الإسقاط الاستعاري من وجهة نظر لسانية معرفية، مع أن الشيب ينتشر في كل جزء من الجسد، لكن التعبير القرآني اختار الرأس لظهوره. وكذلك الشأن في الحديث الشريف في(٤ ب)، فجعل الإسلام رأسا، فلا حياة بدون ذلك الرأس، وسيكون زوال الرأس خروجا من دائرة الحياة إلى الموت، وهي استعارة تشخيصية – بحسب تعبير – "ليكوف" و"جونسون".

و في (٤ ج)؛ فإنّ استعمال الرأس من جهة يتناسب والدلالة اللغوية (الجماعة الضخمة)، ومن جهة أخرى، فإنّ إطلاق هذا العضو من الجسد على جزء من القبيلة فيه إشارة إلى خطاطة الاحتواء، فالقبيلة جسد واحد يتضمن الرأس، هذا الرأس بدوره يمثل نخبة القوة، وهم أشجع من يوجد بها، وأفضل من يدافع عن شرفها.

وإذا كانت استعمالات الرأس في الآية الكريمة والحديث الشريف والبيت الشعري قد جسدت في التعبير العربي قمة الشيء وذروته، فإن " أحلام مستغانمي" في (٤ د) تستعمل "الرأس" في مقابل العقب، إشارة إلى انقلاب الأوضاع وتبدلها، وهو استثمار لخطاطة العمودية؛ حيث يحيل الرأس على العلو، في حين يدل العقب على التسفل، وهو ما سَهَّل عملية إسقاط الاتجاهات الفضائية على عضوين من أعضاء الجسد، باعتبار الطرف الأول في الأعلى (الرأس)، والثاني في الأسفل (العقب).

وأما في (٤ ه)؛ فإنّ التعبير العامي الفرنسي " Se casser la tête"، والذي يقابله في الإسبانية "Romperse la cabeza "، يحيل على إتعاب العقل والتفكير بدون جدوى، أو في شيء لا فائدة منه، ولا داعي للتعب من أجله، وهو تعبير حاضر حتى في الدارجة المغربية:" كَيْهَرّسْ في رَاسُو"، وهي كلها قائمة على خطاطة الاحتواء، فتم ذكر المُحتَوِي (الرأس)، والمقصود هو المُحْتوى(العقل والفكر).

وبالرجوع إلى (٤ و)؛ نجد أن الرأس يستعمل في سياقات للدلالة على صلابة المواقف (Kichwa Kigumu)، وهو ما تعبر عنه الترجمة الحرفية لهذا التعبير إلى اللغة الإيطالية (Testa dura)، فالرأس في هذه الحالة هو مركز اتخاذ القرارات، وهي قرارات لا تتسم بالمرونة اللازمة، ولا تقبل الحلول الوسطى، ونقول في الدارجة المغربية:"رَاسُو قاسحْ".

أما بالنسبة للتعبير الصيني (táng k'eh–ts'óng) في (٤ ز)؛ فهو يجسد لنا إحدى الاستعمالات الشائعة للرأس في اللغات عموما، وهنا يتجلى المشترك الإنساني والكلي الكوني، حيث يكون هذا النوع من التعابير اللغوية إسقاطا لخطاطة العمودية، وتلك الحركة التي يلجأ إليها الإنسان عند النوم، وذلك عن طريق وضع الرأس على المخدة، وكأن الرأس يسقط من الأعلى عند الوقوف، إلى الأسفل عند النوم، وهو نفسه التعبير الدارج في اللهجة المغربية: "حَطْ رَاسُو

على المَسْنَدْ"، وكأنه يزيل الرأس من أعلى الجسد ويضعه على السرير لينام أو على المخدة ليرتاح، وفي الحقيقة هو يستلقي بجسده كله، لا برأسه فقط.

ويجسد لنا التعبير (híyaà- δ e šini – yúku) في (٤ ح)؛ كون الرأس يستعمل في إحدى لغات المايا الأصلية في المكسيك الغربية للتعبير عن الشيء فوق الجبل بشكل حرفي، وهو ما عمل "جورج ليكوف" على توضيحه من خلال الربط بين إسقاطات أعضاء الجسد استعاريا والاتجاهات الفضائية؛[٢٣] حيث يؤكد على كون بعض اللغات تُجْري أسماء أعضاء الجسد بكونها أدوات نحوية تدل على مواقع المكان، وهو ما يحضر في بعض لغات المايا الأصلية في المكسيك الغربية عن طريق التعبير الحرفي باستعمالها لأعضاء الجسد، على ما أشرنا إليه سابقا.

ويتجاوز الأمر الاستعمال اللغوي وتوظيف أعضاء الجسد – عند جورج ليكوف – إلى الاكتساب اللغوي، إذ يكتسب الأطفال أسماء أعضاء الجسد في إنجلترا والدانمارك والعربية وأغلب الثقافات أعضاء الجسد، كم أسلفا الحديث عن ذلك سابقا، ثم بعد ذلك يُجْرُونها على العلاقات الفضائية لاحقا في تعابيرهم اللغوية، وعلى العكس من ذلك؛ فإنَّ الأطفال في إحدى لغات المايا يكتسبونها على أنها أدوات تعبر عن العلاقات الفضائية، ثم بعد ذلك يجرونها على أعضاء الجسد، كما هو الشأن في التعبير المضمن بـــــ(٤ ح)، وهو ما يتضح عبر مقارنة التعبير بنظيره في الإنجليزية، كما هو مبيّنٌ أسفله:[٢٤]

٥) híyaà- δ e šini – yúku
be + location – 3sg.m. head-hill
"He is on top of the hill."

حيث يظهر لنا من خلال المعطيات اللغوية المثبتة في (٤)؛ أن استعمالات الرأس في الثقافات متعددة وكثيرة، وأن هذه الاستعمالات منها ما هو مشترك كلي كوني، لكون التجارب البشرية مع الفضاء الخارجي تكون في غالب الأحيان متقاربة، ومنها ما هو خاص يرجع إلى بعض الخصوصيات الثقافية، وقد ينعكس ذلك على اكتساب الأطفال للغة، وهو ما رأيناه في التفسير الذي قدمه "جورج ليكوف" لبعض التعابير المنقولة عن إحدى لغات المايا الأصلية بالمكسيك الغربية في (٥).

وإذا كانت هذه استعمالات "الرأس" في بعض اللغات، فإن الدارجة المغربية غنية في توظيفها لهذا العضو، حيث تقوم بإسقاطه استعاريا للتعبير عن كثير من المعاني، وهو ما توضحه لنا التعابير أسفله: –

أ– راس الحربة؛ (في مجال كرة القدم مثلا: هو المهاجم المتخصص في تسجيل الأهداف)

ب– راس العصابة؛ (في المجال الأمني هو متزعم العمل الإجرامي)

ج– راس السوق؛ (السلعة الأكثر جودة في السوق مقارنة مع نظيراتها من بنات جنسها)

د– راس الحانوت؛ (نبات يباع عند العطار)

ه– راس الطارو؛ (إشارة إلى الغباء والكسل وثقل الفهم)

[23] -George Lakoff, (1987), Women, fire and dangerous things, p 313.

[٢٤] – المرجع السابق نفسه، ص ٣١٣ – ٣١٤.

و- راس المشكل؛ (سببه الرئيس ومنطلقه)

ز- راس الماء / راس كبدانة؛ (مدينة مغربية صغيرة تابعة لإقليم الناضور)

وبإعمال عملية التصنيف للمعطيات اللغوية الواردة في (٦)؛ فإنّ كلا من المعطيات: أ، ب، ج، د، و، ز، هي نتاج لخطاطة الاحتواء باعتبارها عنصرا من جملة عناصر تشترك في مجال محددة من جهة أولى، ومن جهة ثانية فهي خاضعة لخطاطة العمودية باعتبار هذا العنصر يمثل القمة من بين العناصر التي تندرج في مجاله أو مجموعته.

أما المعطى (٦ ه)، فهو قريب من التعبير السابق في اللغة الزولو (ikhanda elinamanzi)، والذي يعني حرفيا: "رأس مملوء بالماء"، أي: رأس فارغ، في إشارة إلى الغباء، وهو ما تعنيه في الدارجة المغربية عبارة: "راس الطارو"، الشيء الذي يحيل على كلي من الكليات المشتركة في الثقافات عند التعبير عن الغباء بالاستناد إلى كلمة: "الرأس"، إلا أن ما يختلف هو ما يتم إسناده للرأس حال التعبير عن فراغه من المعلومات أو عدم قدرته على الإنتاج والإبداع: في لغة الزولو تعبير لطيف: "فيه الماء"، في الدارجة المغربية تعبير قاس: فيه الأزبال والنفايات.

كما يلاحظ أن إطلاق اسم الرأس على بعض الأماكن كذلك شائع في اللغات والثقافات؛ وهو ما يحيل عليه التعبير اللغوي في (٦ ز)، وهو أكثر شيوعا في الثقافات مقارنة مع غيرها، ففي اللهجة العامية التونسية نجدهم يقولون: رأس أنجلة، رأس زبيب، رأس سرّات (في تونس وهو ما دخل في البحر مسافة من الأرض)؛[٢٥] أي يربطون كلمة "الرأس" بأماكن فيها الماء على البحر، في حين تطلق هذه التسميات في المغرب على أماكن قريبة من الماء أو مرتفعة: راس العين، راس الما، راس كبدانة.

وليرتبط هذا العضو من الجسد – الرأس – بالوضوح والبروز والأهمية، وهو ما يفسر حضوره القوي مقارنة مع بقية أعضاء الجسد، الشيء الذي جعل الاستعارات المتصلة به أكثر انتشارا مقارنة بغيرها في كل الثقافات، فيجعلون لكل شيء رأس، وحتى في ميدان الحياة المختلفة وعلومها؛ فإننا نجدهم يتحدثون عن الرأس في مجالات تخصصهم، وهو ما نلمسه في حديث اللسانيين عن الرأس في مقابل الفضلات،[٢٦] وهو ما يؤكد لنا – إجمالا – الاعتماد القوي على أعضاء الجسد في تخاطباتنا استعاريا، وذلك للتعبير عن معان مستجدة، بالاعتماد على تجارب تنبع من الذات في احتكاكها بالواقع والحياة.

*** خاتمة**

إذن؛ نخلص في النهاية إلى كون الاستعارات حاضرة بقوة في تخاطبنا اليومي، وعند التتبع والتأمل للمعطيات اللغوية سواء في اللغة العربية، أو في الدارجة المغربية وكذا بقية اللغات الطبيعية؛ نقف على جوانب من الكليات الذهنية المشتركة بين الثقافات المختلفة، وهو ما لاحظناه حال الاشتغال على

[٢٥] - الأزهر الزناد، (٢٠١٠)، نظريات لسانية عرفنية ، ص ١٩٣.

[26] - Elabbas Benmamoun,(2000), the feature structure of functional categories, new york oxford university press. p 59 .

استعارات الجسد بشكل مقارن بين المعطيات التي اعتمدناها في هذا البحث.

وبالإضافة إلى مظاهر الاشتراك والكونية السالفة الذكر في التجليات الاستعارية اللغوية؛ فإننا نريد أن نؤكد كذلك على وجود وسائط وبارميترات تمثل مظاهر التباين بين التشكلات الاستعارية في اللغات الطبيعية، والتي يمكننا إرجاعها – أساسا – إلى اختلاف الثقافات والبيئات المحيطة بالإنسان، وكذا تنوع التجارب الجسدية البشرية، ووجود درجات ملامسة متباينة للجسد مع بيئته، والتي تصنع الفارق في إدراك الجسد للمحسوسات، وبالتالي تحويلها إلى مجالات غنية للتعبير.

وبما أنّ الاستعارات لا تنحصر في اللغات الطبيعية فقط؛ بل تتعداها إلى اللغات الصناعية؛ فإننا نستغل هذه الفرصة للتأكيد على كون الاستعارة ممارسة ذهنية محضة (انتقال من الذهن إلى الذهن)، وأنها لا تنحصر في مجال الفن والإبداع الأدبي فقط، كما كان متداولا لعقود من الزمن؛ بل تتعدى ذلك إلى مجالات كنا نحكم بكون لغتها بعيدة كل البعد عن الاستعارات على غرار الرياضيات والمعلوميات، وقد سطرت في ذلك العديد من البحوث والأعمال في ظل نظرية الاستعارة التصورية؛[٢٧] حيث نسعى من خلال سلسلة الأعمال التي نشتغل عليها أن نؤكد على كون الاستعارة تتجاوز التصورات التقليدية التي ترى في الاستعارات الجوانب الجمالية والبلاغية فقط، كما لا نتفق مع التوجهات اللسانية التي أهملت تلك الجوانب التي تفطن لها علماء اللغة المتقدمون، فركزوا على الجوانب الصورية للغات الطبيعية، وكأن ما هو جمالي وبلاغي لا يدخل ضمن السيرورات الذهنية لعملية إنتاج اللغة، ونذهب بعيداً حين نرى استقلال الاستعارة بآليات اشتغالها ذهنيا، رغم وجود تقاطعات تربطها بالجهاز اللغوي الذهني الذي افترضه "نعوم تشومسكي"، ولكن ذلك لا يجعلهما متحدين، فكلاهما جهاز مستقل عن الآخر، والجهاز الاستعاري الذهني مجالات اشتغاله أوسع وأرحب في الواقع التجربي عند البشر و عند غيرهم من الكائنات، وهو ما يفسر من خلال الحضور الدائم للجهاز الاستعاري، رغم تعطل الجهاز اللغوي وما يصدر عنه من تجليات تواصلية وتعبيرية،

---

[٢٧] - من بين تلك الأعمال التي ناقشة الاستعارات علاقة باللغات الصناعية، نجد ما يلي:

✓ طارق المالكي، (٢٠٢٣)، نظرية الربط البنيوي في التقريب بين الاستعارة والقياس والدوال الرياضية، ص ١٣٢ – ١٣٣.

✓ RAKI YOUNESS, MARZAK ABDELAZIZ, GHRAR ADIL, (2022), Toward a Conceptual Metaphors model to support the IoT-Data Analysis Process, Journal of Theoretical and Applied Information Technology, 31 July. Vol 100, No 14.

✓ Ray Jackendoff, (2002), foundation of language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution, p 57.

✓ George Lakoff and Mark Johnson, (1999), Philosophy in the flesh, 231 – 232.

✓ Walter Kintsch, (2008), How the Mind Computes the Meaning of Metaphor: A Simulation Based on LSA, Published in (Metaphor and though), in the United stat of America by Cambridge University Press, New York.p 129 – 130.

ليعمل الجهاز الاستعاري على الرفع من درجات التواصل، وربما الحد من الشركاء في العملية التواصلية عند الحاجة إلى ذلك.

*** المراجع**

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، المملكة المغربية ـــ مدينة المحمدية، مطبعة فضالة ـــ المحمدية ٣ / ٢٠١٦ .

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، كتاب استعارة أعضاء الإنسان، تحقيق وتقديم الدكتور أحمد خان، مجمع البحوث الإسلامية بأسلام باد – باكستان.

الأزهر الزناد، (٢٠١٠)، نظريات لسانية عرفنية ، الدار العربية للنشر، الطبعة الأولى لمنشورات الاختلاف.

سلطان كوفيتش، (٢٠٢٤)، نظرية الاستعارة التصورية الموسعة، ترجمة وتقديم عبد المجيد جحفة، الطبعة الأولى لدار الكتاب الجديد المتحدة بيروت – لبنان.

عاصم شحادة علي وصوفي بن مان، (٢٠١١)، أخطاء ترجمة مفهوم الاستعارة في آيات القرآن الكريم إلى اللغة المالوية عرض وتحليل، مجلة الإسلام في آسية، العدد الخاص الثاني، يونيو ٢٠١١.